الخطبة الشّاميّة
و ذيلها
تشخيص العلّة

www.MalaysiaNur.com
2017

تأليف
بديع الزّمان سعيد النّورسي

مع ذيلها " تشخيص العّلة "

الطّبعة الاولى مع الرّسالة المسمّاة

بـ " السّنوحات " ١٣٢٩ هـ قسطنطنية

١٩١١ م

***

هذه محاورة تكلّمت بها مع أبناء العرب في صورة الخطبة في الجامع الأمويّ في سنة ١٣٢٩ هـ و ذيلها ملاحظة في مسألتين مهمّتين.

بديع الزّمان سعيد النورسى

الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسى فى سنة ١٩١٠ سافر الى دمشق الشام بنيّة الحجّ. لكنّه فى ذلك السّفر مرّ على كثير من الولايات وألقى فى كلّ منها على العلماء والشّعوب المحاضرات فى حقّ الحرّيّة الشرعيّة وفى ضرورة إنشاء الجامعة الكبيرة فى الولايات الشّرقيّة. لذلك ضاع منه موسم الحجّ ولم يحجّ. لكنّه مكث فى دمشق..

و فى تلك الايّام اصرّ عليه علماء الشّام بان يلقى خطبة "فى الجامع الأمويّ" يوم الجمعة...

ففى ٢٨ نيسان ١٩١١ فى يوم الجمعة طلع على منبر الجامع الأمويّ. وألقى هذه الخطبة " الخطبة الشاميّة " على اكثر من عشرة الاف من المسلمين و فيهم اكثر من مائة من العلماء الكبار.

ـ الناشر ـ

التّحيّات لله الّذى قال :

﴿ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله ﴾

والصّلاة على محمّد الّذى قال :

﴿جِئْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْاَخْلاَقِ ﴾

وبعده:

يا أيّها الإخـوان العرب! ما قمت هذا المقام لإرشادكم، لأنّه فوق حدّى. بل مثَلي معكم كمثل صبىّ ذهب إلى المدرسة، ثم رجع في المساء إلى أبيه فعرض درسه على أبيه. نعم نحن صبيان بالنّسبة إليكم وأنتم أساتيذنا.

ثمّ إنّي تعلّمت من زماننا هذا، أنّ الّذى أوقفنا في القرون الوسطى مع طيران الأجانب في التّرقّى إلى الإستقبال ستّة امراض.

وهي: حياة اليأس، وموت الصّدق، ومحبّة العداوة، والجهل بالرّابطة النّورانيّة، والإستبداد المتنوّع السّارى، وقصر الهمّة على الشّخصيّة!

فأقول لكم ستّ كلمات هى الأساس:

الكلمة الأولى : ﴿ الأمل ﴾

أبشّركم -على حسابي- معاشر المسلمين بأنّ سعادة الإسلام وبالخصوص سعادة العرب الّذين بتنبّههم ترقّى الإسلام، فجرها الصّادق قد تنفّس.. وقد إقترب طلوع السّعادة

على رغم أنف اليأس. وأنا أقول بحيث أسمع الدّنيا بأنّ الإستقبال للإسلاميّة ليس الآ... رضينا القسمة لنا الإستقبال، فليكن للاغيار الماضى المشوّش. هذه دعوى لى عليها براهين.. أذكر من تلك البراهين هنا برهاناً ذا مقدّمات ونصفاً: هو أن الإسلاميّة تستعدّ حقيقة لأن تترقّى معنىً ومادّة.

أمّا الجهة الأولى: فاعلموا أنّ التّاريخ (*) وهو أصدق شاهد على الحقيقة يرينا -كما صرّح به أحدالرّجال الجابونيّين- ان بنسبة قوّة الحقيقة الإسلاميّة يتمدّن أهل الإسلام. وبضعفها يتوحّشون، ويصيرون فى حيص

(*) **يعنى** : حقيقى وقوعاتى قيد إيدن تاريخدر.
-**مؤلّف**-

بيص. وسائر الأديان بالعكس من ذلك. بضعفها التّمدّن، بقوّتها التّوحّش.. إلى الآن هكذا مرّ الزّمان.

وأيضاً أن التّاريخ من عصر السّعادة إلى الآن لا يظهر لنا أنّ مسلماً قد دخل فى دين اٰخر عتيقاً أو جديداً بالمحاكمة العقليّة، وبالدّليل العقلىّ، وبترجيحه على الإسلاميّة بالبرهان! وأمّا التّقليد فلا عبرة به. وامّا الخروج من الدّين، تلك مسألة أخرى. مع أنّ أتْبَاع كلّ الأديان حتّى الشّديد التّعصّب في دينهم ومسلكهم كالرّوس والانكليز يدخلون في الإسلاميّة يوماً فيوماً، فوجاً فوجاً بالبرهان القاطع. فإن أظهرنا مكارم ألاخلاق الإسلاميّة فأفواجاً أفواجاً!

وأيضاً أنّ النّوع البشرىّ، لاسيّما إذا تنبّه بإيقاظات الفنون المدنيّة لايتعيّشون ولا يكونون بلا دين هملاً. لانّ (نقطة الاستناد) عند مهاجمات العاديات الخارجيّة ومصائب العالم، وأنّ (نقطة إلاستمداد) لآمال البشر الغير المحدودة الممتدّة الى جانب الابد إنّما هي معرفة الصّانع و الدّين الحقّ فى صدف القلب!

ألحاصل: أنّ البشر تنبّه وعرف جوهر الإنسانيّة. وإنّ الإنسان مبعوث إلى الأبد. وأنّ هذه الدّنيا الفانية الضيّقة لاتسع آمال الإنسان الغير المتناهية. حتّى إنّ هذه الدّنيا لاتشبع أحد خدّام الإنسانيّة وشاعرها، أعنى " الخيال." حتى لو قيل: " أيّها الخيال لك

الدّنيا بمليون من العمر، ثمّ العدم لا إلى عود." فبدلاً مِنْ أن يستبشر، يتأسف. ويصيح "**بأيواه!**." من فقدان السّعادة الأبديّة. ولهذه النّكتة تولّد من غور قلب كلّ أحدٍ ميل تحرّى دين الحقّ والوجود شاهد.

وأيضاً إنّ فواتح كثير من الآيات وخواتمها تحيل البشر على العقل، والمراجعة الى الشّورى مع الفكر. فانظروا كيف تقول:

" فاعلموا! فاعلم! افلا يعلمون! افلا يعقلون! افلا ينظرون! افلا يتذكّرون! افلا يتدبّرون! فاعتبروا! " إلى آخره. فاعتبروا انتم أيضاً يا أولى الألباب!

الحاصل: نحن معاشر المسلمين نتّبع البرهان لسنا كمن تركوا التّقلّد بالبرهان لتقليد الرهبان. وأيضاً إن الحجاب الذى بحيلولته كسفت شمس الإسلاميّة، قد **إنكشف**. وأنّ الموانع لتجليها قد انقشعت.

نعم إنّ المانع لاستيلاء حقيقة الإسلاميّة على قطعة زمان الماضى بتمامها هو: جهل الاجانب، ووحشتهم، وتعصّبهم. وقد تلاشت بهمة المعرفة والفنّ والمدنيّة. وكذا تقليد القسّيسين، ورياستهم. وقد زالت بفكر الحرّيّة وميل تحرّي الحقيقة.

وكذا استبدادنا الذى هو ثمرة استبداد الاجانب علينا وسوء أخلاقنا بسبب مخالفة الشّريعة، وبسبب تقليد أوروبا ومحبّتهم

المشئومة. وقد زَالت قوّة الاستبداد وتزلزل سوء الأخلاق بهمّة الحميّة الملّيّة و بانتباه طبقة العوام وحركتهم، وتزلزل سوء الاخلاق بانقلاب محبّتهم المشئومة المولّدة للتّقليد خصومة منفّرة من التّشبّه...

وكذا توهّم معارضة بعض مسائل الفنون لبعض ظواهر الإسلاميّة. وقد زالت وتزال بهمّة بعض محقّقى الإسـلام. وأنـا أيضاً كتبت لدفع هذا التّوهّم كتاباً.

أجل! الآن جهّز المعرفة والمدنيّة ميلان تحرّى الحقيقة والانصاف و محبّة الانسانية. فارسلتها الى ذلك الموانع فهزمتها، وستفرّقها شذراً مزراً.

والفضل ما شهدت به الاعـداء، هـذه " مستر قارلائيل " من اشهر فلاسفة امريكا قـد نـادى باعـلا صوته بما مأله هـذا: " أنّ الإسلاميّة طلعت كالنّار الجوّالة فابتلعت سائر الاديان الّتى كأغصان الشّجر اليابس، فحقّ الإسلاميّة البلع. لأنّ سائر الأديان بالنّسبة اليها غير ماصدّقها كلا شئ. وأجدر كـلام أنّ يستمع أوّلاً كـلام محمّد عليه السّلام، لأنّ كلامه هو الكلام. واذا اشتبهت فـي حقيقة الإسـلاميّة لابـدّ أنّ تشتبه فى البديهيّات." انتهى بالتّلخيص متفرقاً.

فأنا أقـول ولا أبالى استناداً بإنبات اوروبا وامريكا امثال بيسمارق و هذا المحقّق، وأحكم أنّ أوروبا حاملة بالإسلاميّة فستلد يوما ما!..

يا أيّها الإخوان ! افلا تنتج هذه المقدّمات! أنّ الحاكم في شواهق الإستقبال إنّما هو الإسلاميّة ليس إلاّ...

وأمّا الجهة الثّانية: أعنى التّرقّى المادّى. فاعلموا أنّه قد اجتمع وامتزج في قلب العالم الإسلامىّ خمس قوىً لاتقاوم.

القوّة الأولى: أستاذ كلّ الكمالات (*) والّتي صيّرت ثلاثمائة وثلاثين مليون نفس

(*) حتّى إني أفهم من اشارات أستاذيّة القران فى قصص معجزات الأنبياء للعبرة إراءة، ووضع القرآن إصبعه على نظائر نتائج مساعى البشر فى التّرقّي في الإستقبال الّذى هو مراٰة الماضي، كأنّ القران يمسح بيده ظهر البشر ويقول له: " إسع في الوسائل التى توصلك إلى أشباه بعض تلك الخوارق. "

كنفس واحـدة، المجهّزة بالمدنيّة الحقّة والفنون الصّادقة، إلاّ هي "**الحقيقة الإسلاميّة**"

والقوّة الثّانية: أستاذ المدنيّة والصّنعة، المجهّزة بتكمّل المبادئ والوسائل، إلاّ و هي الإحتياج الشّديد و الفقر الّذى كسر فقار ظهرنا

والقوّة الثّالثة: معلّمة المعالى، ممزّقة

ک ﴿ **غدوّها شهر ورواحها شهر** ﴾ و ﴿**تبرئ الأكمه والأبرص بإذنى** ﴾ و ﴿ **فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا** ﴾ و ﴿ **يانار كوني برداً وسلاما**﴾ و ﴿ **لولا أن راى برهان ربه** ﴾ اي بمثال يعقوب عليه السّلام وامثالها. مثل ﴿ **وألنّا له الحديد** ﴾ وقد قيل: إنّ السّاعة والسّفينة أوّل من أهداهما للبشر يد المعجزة.

الاستبدادات، مهيّجة الحسّيّات العلويّة، المجهّزة بالغبطة والحسد والتّنبّه التّام. مع كوننا في السّفالة التّامّة. وبشوق المسابقة، وميل التّجدّد، وميلان التّمدّن، إلاّ وهى الحرّيّة الشّرعيّة الممتزجة بميل المعالى.

والقوّة الرّابعة: " الشّهامة الايمانيّة "، المجهّزة بالشّفقة. أعني أنّ لا يتذلّل ولا يُذلّل. وهما أساسا الحرّيّة.

القوّة الخامسة: " عزّة الإسلاميّة " الآمرة بإعلاء كلمة الله المتوقّف ذلك الإعلاء في هذا الزّمان على التّرقّى مادّة والمدنيّة حقيقيّة، كما على تمزيق التّعصّب وكسر العناد بالسّلاح فى الماضي.

إلاّ أنّ مـرادى مـن الـمدنيّة محاسنها لاذنوبها الّتي تظنّونها محاسن. نعم لمّا لم تتأسّس مدنيّة الأجانب على الفضيلة والهدى، بل على التهوّس والهوى، تغلّبت ذنـوب الـمدنيّة عـلى حسناتـها، فصارت مدنيّتهم كشجرة مسوّسة بالفرق الإختلالية. وهذه الحال مدار لغلبة مدنيّة آسيا.

فيا للعجب! إذا كـان الطّريـق لنا إلى الإستقبال هكذا كسكّة الحديد، كيف تقعون في اليـأس؟ كيف تظنّون انّ العالم لكلّ العالم عالم التّرقّي بسرّ ميل الإستكمال، ولنا خصوصاً دنيا التّدنّى؟

فانظروا أنّ الزّمان لا يتحرّك على الإستقامة حتّى يتباعد المبدأ والمنتهى، بل تدور حركة

وضعيّة فى ضمن التّرقّى متصاعداً. فبعد كلّ شتاءٍ ربيع، وبعد كلّ ليل صباح.

وأمّا نصف البرهان هو هذا: قد ثبت بالإستقراء التّامّ بجواسيس الفنون أنّ الخير والحسن والكمال هو المقصود بالذات والغالب المطلق في نظام الكائنات. بدليل أنّ كلّ فنّ من فنون الكائنات كشّاف بكلّيّة قواعده عن إتّساق وإنتظام لايعقل أكمل منه. و الإستقراء أنتج أنّ الشّرّ والقبح والباطل جزئي، وتبعيّ، ومغمور في الخلقة. وإنّ أكرم الخلق (البشر) بدليل كشفه التّرتّب العلل المتسلسلة فى الخلقة بصنعته. و أنّ الأشرف " **أهل الحقّ** "، اي الإسلاميّة بشهادة حقائقها. وأنّ افضل الكلّ محمّد عليه السّلام بشهادة أخلاقه ومعجزاته..

فإذا كان هذا هكذا ، أ يقتدر نوع البشر بشقاوته على جرح شهادات الفنون، وعلى نقض الإستقراء التّامّ، وعلى التّمرّد في مقابلة المشيئة والحكمة الأزلية؟!..

والّذى أحكم العالم بالنّظام الأكمل لايهضم البشر بسلامة الامير مخالفته لنظام الكائنات، فى غلبة الشّرّ فى ذلك النّوع فى ألوف من السّنين، إلاّ أنّ يعدّ البشر طفيليّاً في هذه العالم مع كونه " **الخليفة** " .

فأنتج من هذا النّصف، أنّ الخير والدّين الحقّ في الإستقبال يكون الغالب المطلق الّذي فيه الخير والفضيلة. حتّى يتساوى البشر مع إخوانه سائر الكائنات، ويحقّ أن يقال: إنّ نوع البشر تقرّر فيه سرّ الحكمة .

الكلمة الثّانية : ممّا أولدتها تجاربى هذه : أنّ " **اليأس** " أشدّ مرض ألمّ بالإسلام، وهو الّذي قتلنا، وأمات أخلاقنا العالية، وكسر قوّتنا المعنويّة. حتّى إنّ المرء بتكاسل غيره يقع في اليأس والفتور، ويظنّ قصور غيره عذراً لقصوره. ألا فلنأخذ قصاصنا من اليأس الّذي قتلنا ولنضربه بسيف ﴿ **فلا تقنطوا** ﴾ ولنكسر ظهره بـ" ما لايدرك كلّه لايترك كلّه. "

نعم : أنّ اليأس (سرطان الأمم). أجلّ! إنّ اليأس مانع كلّ الكمالات ومخالف " **أنا عند ظنّ عبدي بي** "، وشأن العجزة. وليس من شأن شهامة الإسلاميّة، لاسيّما العرب ذوى المفاخر، اليأس الّذي ينشأ من العجز.. نعم، توهّمنا إيّانا سفلاء، فتسفّلنا.

الكلمة الثّالثة: الّتي تمخّضها لى التّحقيق أنّ "**الصّدق**" هو اسّ اساس الإسلاميّة، ورابطة أخلاقها العالية، ومزاج الحسّيّات العلويّة. ألا فاحيوا وداووا مابه قوام حياتنا.

أجل: إنّ الصّدق هو العقدة الحياتيّة للإسلاميّة. وما الرّياء إلاّ نوع من الكذب الفعلىّ. وما النّفاق إلاّ صنف من الكذب. وما الكذب إلاّ إفتراء على قدرة الصّانع. والكفر كذب، والإيمان صدق. فالمسافة بين الكذب والصّدق فراسخ، كما بين الشّرق والغرب، والنّار والنّور.

فبالإستطراد أقول لكم نكتة من علم الحديث وهي: أنّ رواية الصّحابة رضي الله عنهم لاتحتاج إلى التّزكية، فكلّهم

عدول عدالتهم محقّقة، لا كالقرون الاخرى فإنّهم يحتاجون إلى التّزكية. السّر في هذه الحكمة: أنّ الصّدق لما أظهر في عصر السّعادة كل حسنه، وبُعْد درجته عن الكذب، واوقع انقلاباً عجيباً في العالم؛ فترقّى محمّد عليه الصّلاة والسّلام بالصّدق إلى أعلى علّيّين الكمال، راج في سوق العالم " الصّدق "، كما الحرّيّة الشّرعيّة الاٰن. ولمّا أظهر الكذب نهاية قبحه، وغاية بعده عن درجة الصّدق، حتّى تسفل امثال مسيلمة الكذّاب به الى اسفل سافلين الخسّة، كسد الكذب، كما الجاسوسيّة الان. وما صادف من يشتريه، فانفرج المسافة، واتّسع الميدان بين الكذب والصّدق. فراج جوهر الصّدق، وكسد الكذب متاع الغرور!..

فاذا وقع هذا هكذا ،تسابق العرب الّذين في فطرتهم ميل المعالى، وفي طبيعتهم الشّوق إلى أخذ الرّائج من كلّ شئ، وفي جبلّيّتهم ميلان المفاخر، متسارعين إلى أنّ اشتروا الصّدق وتزيّنوا بالحقّ، فرفعوا أعلام الشّهادة على عدالة الصّحابة!..

ثمّ لمّا إمتدّ الزّمان وتضايق المسافة بين الضّدّين بمقدار إصبع، حتّى إنّ الرّجل لايبالى أ يصدّق أم يميّن، إختلّ الأحوال إلى ما ترون بعين التّأسّف. حتّى لو أمعنتم النّظر ترون رجال السّياسيّة كيف إضطرّوا لدفع ضرر الكذب لتأسيس وظائف قد تنجرّ إلى التّسلسل.

فيا أيّها الإخـوان! ألصّدق هو النّجاة. والصّدق هو العروة الوثقى. وإمّـا الكذب للمصلحة، فالزّمان نسخ. لأنّ المصلحة كا المشقّة في السّفر ليست بمحدودة حتّى تناط بها الحكم. إمّاالصّدق، وإمّا السّكوت!

الكلمة الرّابعة : ممّا إنتجتها التّحقيقات هي " المحبّة ". أعنى إنّ اجدر شئ بالمحبّة المحبّة. و أليق صفة بالخصومة الخصومة. فـإن شئتـم أن تـخاصـموا شيـئاً فعليكم بالخصومة، فإنها هي العدوّة الغدّارة.

نعم إنّ وقت الخصومة قد انقضى، ليس فيها فائدة أصلا، فلا تغترّوا بما سوّلت لكم أنفسكم بأنّ خصومتنا لسيّئات خصمنا.. لا بل لغروركم، ونفسانيّتكم. فأنتم من حيث

لاتشعرون بطبع الخصومة تنزلون وتخفّفون بل تحقرون أسباب المحبّة الّتي كالجبال بالنّسبة إلى أسباب العداوة. والمحبّة والعداوة كالضّياء والظّلمة لا تجتمعان حقيقةً. إمّا أن تغلب المحبّة فتنقلب العداوة شفقة وترحّماً وتوجعًا. وأمّا العداوة تغلب فتنقلب المحبّة مماراةً ومماشاةً.

فأسباب المحبّة الإيمان، والإسلاميّة، والجنسيّة، والانسانيّة. وهي أرجح من الجبال. وسبب العداوة بعض السّيّئات الخصوصيّة كالحجيرات، فمن غلب في طبعه العداوة بالمسلم فهو كمن يستخفّ بجبل " **أُحد** " وقال: هو أصغر من الحصاة.

النّتيجة: أنّ المحبّة هي مزاج الإسلاميّة. أرى مثل أهل العداوة كمثل صبيّ مختلّ المزاج أن يبكى فيتحرّى ما يتباكا به.

أفلا تحسنون الظّنّ كلّ ما أمكن لكم سوء الظّنّ!..

الكلمة الخامسة: ممّا علّمتنا الشّورى " أنّ الذنب الفرد في هذا الزّمان ليس ذنباً واحداً، بل تنوف على ألف. وإن الحسنة المنفردة لاتبقى حسنة فزّة، بل تترقّى على الوف ". وسرّه: أنّ الشّورى عرّفتنا حاكميّة الملّيّة، وملّيّتنا مجدولة محكمة ممتزجة من روابط الإسلاميّة. و العثمانيّة و العنصريّة. والملّيّة مع كونها صدف الإسلاميّة، رابطة تصير عموم الإسلام كعشيرة واحدة يرتبط بعضها

ببعض، ويشدّ بعضها بعضاً، كأنّهم مربوطة بسلسلة نورانيّة. فكما أنّ فرداً من عشيرة اذا جنى جناية، يصير أفراد العشيرة بتمامها في نظر عشيرة أُخرى متهمّين، كأنّ كلاً جنى. وإذا فعل حسنةً إفتخر كلّ من العشيرة به كأنّه هو فعله، كذلك إنّ السّيئة في هذا الزّمان لاتنحصر على صاحبها بل تتجاوز إلى حقوق ملايين من النّفوس.

ياهؤلاء لا تعتذروا:

" **بأنّنا لانضرّ، ولانقتدر على النّفع.**" كلاّ إنّ كسلانكم وإعتزالكم ضرر أيّ ضرر علينا! وكذا إنّ الحسنة لاتتوقّف على فاعلها، بل تسرى إلى ملايين من النّفوس فتقوى رابطة حياتهم!

أيّـهـا الإِخــوان! لاتـظنّـوني إنّــي قمت لنصيحتكم، بل أدّعى منكم حقّنا. لأنّ منافعنا مربوطة بكم، فبتكاسلكم نتضرّر!..

يا معاشر العرب! إنّ أوّل من يخاطب بهذا الكلام أنتم، بأنّكم أساتيذنا. وكنتم أئمّتنا وحماة الإسلاميّة. فذنبكم أعظم و أعظم. وحسناتكم هي العليا. ألا لا تتخيّلوا إنّى أستنهض الهمم للإشتغال بالسّياسيّة، لأنّكم لاتقرؤون من بعيد الخطوط الدّقيقة في حـواشى السّياسيّة. لأنّـي أتـصـوّر هيئة الإجتماعيّة فابريقة ذات دواليب متأخّية، فإن تبطأ چرخ أو تجاوز إلى جاره، إختل ميكانيكيّة الماكينة. هذا، إنّي بكمال التّأسّف والتّلهّف اقول:

إنّ الأجانب كما أخذوا أموالنا الغالية، وأعطوا بدلها ثمناً بخساً.. كذلك سرقوا أخلاقنا العالية الّتى تنبت من معدن الدّين الحقّ، وأعطوا في مقابلتها أخلاقهم السّيّئة.

مثلا إنّ الرّجل منهم يقول: " إن أمت، فليحيي ملّتى، فإنّ لى فيها حياة باقية " هذه في الأصل كلمتنا الّتى تولدت من الدّين الحقّ، وهى الأساس المتين لترقّياتهم سرقوها منا.

ورجل منّا يقول: إن أمت عطشاً فلا نزل القطر، إن لم أر فلتكن الدنيا كما شاءت. هذه هي الكلمة الحمقاء الّتي تولّدت من عدم الدّين وعدم الإقرار بالاٰخرة قد تداخلت إلينا.

وأيضاً بفكر الملّيّة يصير الفرد فيهم كالملّة، لأنّ قيمة المرء بنسبة همّته. ومن همّته ملّته، فهو برأسه ملّة.

وبقصر النّظر في بعضنا مع جلالة إستعدادنا قد يكون الألف منّا كواحد. من كان همّته نفسه، فليس من الإنسان. لأنّه مدنيّ بالطّبع. ويلاحظ أبناء جنسه.

الكلمة السّادسة: إنّ مفتاح سعادة الإسلاميّة إنّما هو " **الشّورى** " وقد ألّفت في حقائقها كتاباً، من أراد فليراجع إليه. وكذلك أنّ كشّاف طالع آسيا ومفتاح قيود الإستبدادات المتنوّعة على رِجْلِ ثلاثة مائة مليون من الإسلام، إنّما هى الحرّيّة المتولّدة من الشّهامة والشّفقة الإيمانيّة، والمتزيّنة

بالاٰداب الشّرعيّة. أعني يقتضي الإيمان أن لايذلّل ولا يتذلّل. من كان عبدًا لِلّٰه لايكون عبداً للعباد.

﴿ لاَيَجْعَلْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً اَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ ﴾

نعم ألحرّيّة عطيّة الرّحمن، إذ أنّها خاصيّة الإيمان.

فليحيي الصّدق. و لا عاش اليأس. فلتدم المحبّة. ولتقوى الشّورى. إنّ الملام على من اتّبع الهوى. والسّلام على من اتّبع الهدى..

تشخيص العلّة (*)

(*) ملاحظة: أعلم أنّ النّاس عاتبوا عليّ و يقولون: «كلامك مغلق و مشكل لا يفهم».. فأجبرت طبيعتي على خلاف عادتها، فصار هذا الذّيل نازل الدّرجة، عارياً من الزّينة.. فبدلاً من صحيفة، صار صحائف.

- بديع الزمان-

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال: ألحميّة الدّينيّة والحميّة الملّيّة أيّهما أسدّ و أولى بالإعتماد و أخلص؟!.

جواب: عندنا معاشر المسلمين؛ ألدّين و الملّيّة متّحدان بالذّات، مختلفان بالإعتبار.. بل الدّين حياة الملّيّة وروحها.. ومن فرّق بينهما، فعنده الحميّة الدّينيّة تعمّم العوام والخواصّ؛ والحميّة الملّيّة تخصّ من المائة بواحد..

وعندنا معاشر الشّرقيّين؛ الحسّ الدّينيّ هو الحاكم على القلوب.. ولقد أشار " القدر الأزليّ " ببعثة جمهور الأنبياء من الشّرق؛

إلى أنّ الحسّ الدّينيّ هو الّذي نهّض و نبّه الشّرق، وهو يرقّيه و يوقظه!..

يا أيّها السّائل! أحكى لك حكاية يتكشّف بها جوابك و هى: إنّى سافرت بمناسبة سياحة " السّلطان رشاد " إلى " روم إيلى "، وكنت راكباً فى (شمندوفر)؛ فوقع بيني وبين بعض النّاس مباحثة فى الحميّة الملّيّة، والحميّة الدّيّنية، أيّهم أولى بالتّمسّك؟!.

فقلت لهم: إنّ الحميّة الدّينيّة هي الحبل المتين، هي العروة الوثقى لنا، هي السّلسلة النّورانيّة..

فقال ما الدّليل؟!.

فإذا رأيت على جانب سكّة الحديد صبيًّا

ما بلغ سنّه ستّاً فقلت لصاحبي: إنّ هذا الصّبيّ يعلّمنى بلسان حاله جواب سؤالك، فإذًا هو أستاذنا فى هذه المدرسة السّيّارة..

قالوا: كيف؟!

قلت: أُنظروا إنّ ذلك الصّبىّ قد قام على طرف الطّريق ببُعْدِ ذراع من ممرّ " دابّة الأرض " تلك الدّاهية الّتى تهدّد بصياحها و تتحكّم بهجومها، كأنّها تقول: " يا ويل من صادفنى وبارزنى! " مع أنّ ذلك الصّبىّ قد وقف على طريقها بأكمل حرّيّة وأتمّ جسارة، لا يبالى بها.. فكأنّه يستخفّ بهجوم هذا المركب ويستهزئ بتهديده بالنّهيق. ويقول: " لاتخوّفنا برعدك! " فكأنّه يخاطبه: بـ " يا أيّها الشّمندوفر! أنت أسير نظام، وخطامك

فى يد قائدك.. فليس من حدّك أن تتجاوز إلىّ، أو تستبدّ علىّ، فمُرْ فى سبيلك بإذن ربّك!..

ثمّ يا أخى تخيّل فى موضع ذلك الصّبىّ " رستم الإيرانىّ " أو " هركول اليونانىّ " مع شرط عدم إعتقادهما بجريان الشمندوفر بإنتظام؛ إذا رأيا ذلك يهجم من بعيد، أو يخرج من نافقائه؛ (*) كيف يَفرّان -و معهما الجسارة الخارقة- من ممرّه بألوف من ذراع.. و كيف تضمحلّ فى مقابلة تهديده

(*) و فى رأسه " النار ذات الوقود " .. و فى بطنه " أصحاب الأخدود قعود ".. و فى فمه من نفسه رعود.. و فى عينيه من (الالكتريق) بروق.. لو كان (شمندوفر) يربوعًا، كان (تُونَلْ) نافقاءه..

حرّيّتهما، وتتلاشى بهجومه جسارتهما. إذ بسبب عدم الاعتقاد لا يظنانّه حمارًا مطيعاً، بل يتوهّمانه أسداً مفترساً...

فاعلم يا أخي أنّ الّذى صيّر ذلك الصّبيّ أشدّ جسارة، وأكمل حرّيّة من هذين القهرمانين، وجعله فوقهما بمراتب؛ ما هو إلاما فى قلب ذلك الصّبى من نواة الحقيقة، وهي إطمئنانه بإتّساق جريانه.. وإنّ لمركبنا هذا راعياً يجرّه بحساب!.. وإنّ الّذى صيّرهما خائفين، وجعل وجدانهما أسير الوهم؛ عدم إطمئنانهما بإنتظامه وجهلهما بسائقه!..

فإن تبصّرت ما تمثل فى هذا المثال؛ فارفع رأسك وانظر فى الكائنات، كم ترى الله في

الفضاء من كُراتِ النّجوم، و أجرام العالم، و سلاسل الحادثات، والواقعات المتسلسلة أمثال الشمندوفر والبالون والأوتوموبيل الإلهيّة!.. فكأنّها سفائن برّيّة، وفلك بحرّيّة، ومراكب هوائيّة تسيرها يد القدرة.. ولها نظائر فى عالم المعنويّات...

يا هذا يهدّد كلّ هؤلاء السّيّارة الطّيّارة أهل الوهم و الضّلالة بتهاجماتهم بحادثات ومصائب متسلسلة.. فتأمّل أنّ الّذى ينجى البشر من إستبداد الكائنات، ويخلّص ويحرّر وجدانه الذى يبارزها من أسارة الوهم والخوف؛ ما هو إلا إطمئنان البشر بأنّ كلاًّ (يجرى بقدر). وما منها فرد

إلاّ ويجريه مقدّر. لايخالفون ما يؤمرون، ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ !..

ومن لم يكن من نواة الحقيقة الّتى هى " **الدّين الحقّ** " فى قلبه ما يستند إليه اٰماله؛ فبالضّرورة تضمحلّ جسارته، ويتفسّخ وجدانه، ويصير أسير الكائنات وحادثاتها من حيث لايشعر..

فثبت أنّ أساس كلّ الكمالات من الحرّيّة والشّهامة وغيرهما هو " **الدّين الحقّ** " ليس إلاّ..

ألا ترى أن شعلة من شعاع هذه الحقيقة لمّا أضاءت فى قلب عسكر الإسلام المتنور بنور الإيمان،ترقّى عسكرنا إلى درجة -أقرّ

كلّ النّاس- برُجْحان القوّة المعنويّة فى عسكر الإسلام، مع تنزّل دولتنا من مئات من سنين.. وتلك الشّهادة هي الحسّ الّذى ينطق بلسان العسكر: أنّ في الجهاد حياةً وسعادةً. فإن متّ فالظّفر بالشّهادة، وإن غلبت فالغزاة غنيمتى!..

سؤال: إنّ المدنيّة الحاضرة لا تساعد ولا تفتى بالجهاد الدّينى، فكيف التّطبيق بينهما؟!

جواب: لمّا جعلت المدنيّة للتّدافع الوسائط الغير المشروعة مشروعة، و أفتت بجوازها، فكيف لا تساعد ولا تشوّق الجهاد الّذى هو أثبت الشّرائع!. فما دامت الرّذيلة فى الدّنيا، لابدّ أن تجاهدها الفضيلة إنّ الجهاد أبدى!..

ثمّ إنّ موقعنا ومكاننا -الّذي وسع علينا وما ضاق كغيرنا- موقع التّدافع لا التّجاوز.. وإنّ أساس ديننا يشير إليه. لأنّ ﴿ **لاَ اكْرَاه فِى الدِّين** ﴾ و ﴿ **تَعَالَوْا الَى كَلمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ** ﴾ يوقفنا فى موقع التّدافع... فإنّ كلمة ﴿ **تَعَالَوْا** ﴾ تشير إلى أنّ أوّل وظيفتنا " الدّعوة " إلى الإتّفاق، ثمّ ندافعهم بالجهاد.

وممّا يدلّ على قوّة هذه الحقيقة، أعنى " **الحميّة الدّينيّة** " وتأثيرها فى المعاملات؛ ما حكى أنّه سافر أحد إلى قوم بدويّين. فنزل عند رجل فاضل، فرأى أنّهم لا يهتمّون بحفظ أموالهم، حتّى رأى هم يلقون دراهمهم فى زوايا البيت بلا تحفّظ... فقال المسافر لصاحب المنزل " ألاّ تخافون من السّرقة مع عدم حرز أموالكم؟! "

فقال (ص) : لاتقع السّرقة فينا.

فقال (م) : إنّا نقفل على دراهمنا أقفالاً مع أنها كثير ما تسرق منا.

فقال (ص) : إنّا نقطع يد السّارق كما أمر الله تعالى.

فقال (م) : أظنّ أنّ كثيرًا منكم محرومون من إحدى يديهم؟

فقال (ص) : إنى بلغت خمسين سنةوما رأيت فى عمرى إلا قطع يد واحدة.

فقال (م) : فيا للعجب! عندنا يحبس فى كلّ يوم كثير ولا يؤثر معشار هذا التأثير؟

فقال (ص) : قد أهملتم أمرًا عظيمًا و

غفلتم عن سرّ عجيب.. وهو أنّ السارق منّا إذا أراد سرقة، ومدّ يده لأخذ مال الغير؛ تخطّر بـ" حكم إجراء الحدّ " المربوط بالسّلسلة العرشيّة، الأمر النّورانىّ المحيط. واستمع نداء من بُعد من جانب قلبه، كأنّه يسمع ويحسّ بإذن قلبه بخاصية الإيمان صداء الكلام الأزلىّ النّازل من فوق العرش، و النّاعي على يد السّارق بـ ﴿ **وَالسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا اَيْدِيَهُمَا** ﴾ فيهيّج هذا الإعتقاد معنويّاته؛ فتهتزّ حسّيّاته العلويّة، فتتنادى قواه المعنويّة من أطراف الروح و أعماق الوجدان، متهاجمة على ميلان السّرقة، فينقطع ويتقلّص ذلك الميلان.. وما من ميلان يحافظ نفسه فى مقابلة هذا الزّاجر العلوىّ والرّادع الوجدانىّ...

لأنّ الأفعال تصدر من تمايلات القلب، وهى تنبعث من إحتساسات الرّوح، الرّوح يهتزّ بنور الإيمان..

حاصل الكلام: إنّ إجراء الحدّ للإمتثال، يتأثّر بها الرّوح والعقل والوجدان بخلاف صنعتكم.. فإن أحدكم إذا أراد السّرقة، فإنّما يتأثّر من جانب وهمه فقط. لأنّه يتوهّم عتاب النّاس-لو علموا به- و حبس الحكومة -لو تبيّن عليه-، إنّما تنفعل قوّته الواهمة إنفعالًا سطحيًّا..

الحاصل: إنّ العدالة إنّما تكون عدالة محضة؛ إذا أجريت من حيث " إنّ اللّهَ أمَر بها". لأنّ هذه الحيثيّة أنفذ حكمًا و أتمّ تأثيرًا وأعمّ فائدة!..

نعم بإختلاف الحيثيّات تختلف الحقائق. فكم من شيءٍ واجب بنسبة، و حرام بنسبة أخرى.. وشيء واحد قد يكون بديهيًّا بعنوان، و نظرياً بآخر، كما تقرّر فى المنطق.

وقس على حدّ السّرقة سائر الأحكام الإلهيّة.. فأنتج من أوّل الجواب إلى هنا؛ إنّ الحميّة النّاشئة من الحسّ الدّينىّ أسدّ وأولى بالإعتماد و أصفى!..

سؤال: كما أن المدنيّة الحاضرة أعلنت الحرب على الإستبداد، كذلك هيّجت حسّ الخصومة على حملة الدّين.. وقد سرى من الأجانب إلينا هذان الحسّان؛ فكما يهجمون على التّحكّم، ينظرون إلى الحسّ الدّينىّ نظر غير المؤتمن فما رأيك فيه؟

جواب: نعم قد سرى إلينا من الأجانب التّرياق مع السّمّ.. أمّا سبب إعلان المظلومين الحرب على الإستبداد فظاهر...

وأمّا سبب إعلان الخصومة للحسّ الدّينيّ فى الأجانب؛ فهو أنّ الدّين العيسويّ، لاسيّما مذهب " **الكاثوليك** " منه، قد أوقع فى الأوروبا إختلالاتاً داخليّة عجيبة مدهشة. وقد صار ذلك المذهب آلة السّياسة الدّاخليّة في أزمنة متطاولة.. فإن شئت فانظر التّاريخ، كيف احمرّ بدم المظلومين بسيف أمثال " **نيرون** " الظّالم!.. ثمّ استمع التّاريخ تسمع الأنين والعويل والتّلعين بتضييق " **جمعية أنكيزيسيون** "

الّتى أوقعت مظالم أدهشت العقول بمقدار خمسمائة سنة..

وعندي، أنّ تلك الجمعيّة الوحشيّة ما ماتت، بل تناسخت فى صورة المدنيّة، وتلفّفت بخدع المدنيّة و السّياسة و معاملات الأجانب مع غير العيسويّة دليل على ذلك..

ثمّ انظر إلى تاريخ فرنسا، كيف أوقعت المخالفة بين مذهبيهم إختلالات أدهشت الفقراء، و إنقلابات مظلمة على المظلومين بمقدار أربعمائة سنة. وفى كلّ ذلك، صارت السّياسة فى يد الخواصّ بواسطة ذلك المذهب، الّذى لا ينطبق على العقل سببًا لمحو الفقراء ونكبة العقلاء.. فأنتج من

أعماق قلوب أهل الفقر و الضّرورة، وكذا أهل الفلسفة حسّ الإنتقام من المستبدين.. و كذا حسّ الخصومة لذلك المذهب الّذي أوقعهم فى حيص و بيص.. و مع ذلك ما هجموا على ذلك المذهب بترك الدّين، بل استندوا بالمذهب البروتستانى. ومع هذا، أن مذهب الكاثوليك، هو المذهب الرّسمىّ الآن فى " **باريس** "، مع هجوم ألوف مع من فلاسفتهم عليه!..

فيا للعجب! كيف تقاس الإسلاميّة الّتى هى حياتنا معاشر الفقراء على ذلك المذهب، و بينهما ما بين الأرض و السّماء من مسافات طويلة وفروق كثيرة، قد فصّلت بعضها فى " **الخطبة الشّاميّة** ". و من

الفرق البيّن: إنّ الإسلاميّة ما صارت سببًا للمخاصمة فيما بين العالم الإسلامىّ إلاّ في أقلّ قليل، بل بينهم وبين من يتجاوزون عليهم.. وما صارت واسطة لدسائس السّياسة بين أهل الإسلام إلاّ نادرًا بخلاف مذهب الكاثوليك.. فلا حقّ لأحد من المظلومين فى الاعتراض على هذا الحسّ الحقيقىّ فينا. فإنّ الإسلاميّة كهف الفقراء وملجأ المظلومين من عاديات الدّهر!.. والّذى أنزل القرآن رحمة للعالمين؛ إنّ

" **وجوب الزّكاة** " و " **حرمة الرّبا** " يشهدان عن صميم قلبهما بأنّ الإسلاميّة حامية الفقراء و ملجأ المساكين!..

و الحال إنّ مذهب الكاثوليك كأنّ حصن الظّالمين فى مقابلة الفقراء والمساكين. ونسبتها إلى هذا المذهب فى مداخلة دسائس السّياسة الّتى هيّجت من المظلومين حسّ الإنتقام، من الألف واحداً.. ومع هذه الفروق البيّنة، والقياس بلا مناسبة إنّ سلكنا كما سلكوا؛ أوقعنا العالم الإسلامىّ فى الهرج والمرج ألف سنة. ثمّ نكون (لو كان القياس صادقًا) على طرز فرنسا الآن.. مع أنّ مدنيّتهم الحاضرة بكثرة مساويها ينبغى أن لا يرغب فى إشترائها بلا ثمن، فكيف بعد صرف ألف سنة!..

سؤال: فإذا لم يكن لحسّ الخصومة موضع قبول فى العالم الإسلامىّ فما سبب سرايته إلينا؟..

جـواب: إنّ الـكـلام كما يـنـوّر الأفكـار أو يظلمها بمقاصده الّتى تسمّى " المعانى الثّانويّة " فى فنّ البيان؛ كذلك الكلام قد ينزّه الحسّيّات أو يدنّسها بطرز إفادته و صور أسلوبه الّتى تسمّى " **المعانى الأوّل** " وعلى هذا، أن أثار الأجانب المترجمة إلينا كما قد تنوّر أفكارنا بمقاصدها؛ فكثيرًا ما تشوّش بل تضلّ حسّيّاتنا بصور أساليبها.. حتّى قد يلقى مؤرّخهم أو أديبهم عند المرور على بحث المقدّسات و عظماء الدّين بسكوته، أو عدم مبالاته، أو بطرز إفادته حسّ الاستخفاف و عدم الإحترام...

ومن أعظم المصائب الّتى تداخلت إلينا من طرز أساليبهم المشبوعة بحسّيّاتهم

" **الاستخفاف** " بحَمَلَة الدّين و علماء المدارس.. والحال إنّ هؤلاء العلماء أحقّ هؤلاء النّاس كافّة بالحرمة والمرحمة والمحبّة. و إنّ القصور والخطأ ليس من وجودهم، بل من عدم وجود المحقّقين الكاملين لعدم مساعدة الزّمان.. إنّ العلماء عمود الإسلاميّة!..

سمعت أنّ أحدًا رأى فى عمود بيته خللاً و ضعفاً، فقلقله لقلعه من قبل أن يقيم عمادًا قويًّا مقامه؛ فخرب البيت على رأسه..

ورأيت أحدًا يستدلّ على جلالة إمام عمر (ر.ع.) : بأن قامته كمنارة فى الجسامة.. فردّ عليه أخر دليله من قبل أن يستدلّ على جلالة

عمر (ر.ع) بعظمة روحه.. فقال الأوّل: " **فإذاً عمر مثلنا** " فتأمّل!..

و شاهدت أحدًا يهجم على متعصّب لتعصّبه، من قبل أن يستدلّ على قيمة صلابة الدّينيّة بأنّها هى " التّقوى والثّبات على الحقّ والمتانة فى الأخلاق ".. فأفسد على ذلك الفقير صلابته الدّينيّة..

من رفع العمود الضّعيف، قليتحفّظ على السّقف بقوىّ ثمّ... وإلاّ يخرب من حيث لا يعلم...

ومن أراد إبطال الدّليل الفاسد، فليثبت النّتيجة الحقّة بدليل صحيح ثـمّ.. وإلاّ يفسد من حيث لايعقل...

ومـن هـجـم عـلى الـتّـعـصّـب، فليحترم وليتحفّظ على الصّلابة الدّينيّة، ثـمّ.. وإلاّ يضلّ من حيث لا يشعر...

سـؤال: مـا تقول فى حـادثة " اوتـوز بير مارت " الّتى يطنطن بها أهل الهوى..

جواب: الأولى؛ أن تقول فى صاعقة " اون بير نيسان ١٣٢٥ " وقد شرحتها فى ديوان الحرب فى مدافعتى الّتى تسمّى
" إيكى مكتب مصيبتك شهادتنامه سى "(*)

ثمّ إنّى أقول بجميع قوتى: أخطاء الموافق والمخالف بإلقاء خطيئاتهم عـلى بعض

(*) فأسفًا الهيجان شوّشها والمطبعة حرفتها.
-المؤلّف-

معصومين ساكتين متوكّلين!..

يا أيّها المغرورون الّذين تبرّؤون أنفسكم بحمل فسادكم على غيركم! مَثَلكم كمثل رجالٍ اقتتلوا وعثوا فى الأرض فسادًا؛ ثمّ توسّط بينهم بعض أهل الصّلاح لدفع فسادهم، ودعوتهم إلى الصّلاح، ويذكرهم المتوسّط بأمور مقدّسة لإزالة دسائسهم المدهشة.. و قد وفّق الله ذلك المتوسّط على تنزيل فسادهم من المائة إلى الواحد ببركة تلك المقدّسات.. ثمّ هجم الفريقان المتخاصمان لتبرئة أنفسهم، و مداهنة بعض لبعض هديّة الغرور و رشوة الأنانيّة من الطّرفين، وتعديًا بلا إنصاف على ذلك

المتوسّط المعصوم النّاصح، فحملوا خطيئاتهم على من أراد سدّ طريق وبائهم..

نعم، قد كان من تلك الفرقة النّاصحة من هجم أيضًا، بسبب أنه رأى وكشف بدقّة نظره؛ إنّ فى النّواة الّتى صارت الأن شجرة تتثمّر بالحنظلة مقدارًا من بذر شجرة زقّوم، فهجم ولكنّ الله جاهد!..